المقاومة لم تتوقف ، وان اعترتها اشكال الضعف بفعل ضخامة التحديات من جهة ، وبفعل فقدان ادوات المقاومة المنظمة من جهة اخرى .

نحن اذن بعد ١٩٤٨ ، أمام مرحلة جديدة في كل ما طرحته وفرضته على الشعب . إننا بشكل ادق أمام شعب اقتلع من وطنه وبدأ مرحلة البحث عن الذات خارجه ، وهو البحث الذي طال ، نقول طال ولكنه لم يتوقف مطلقا .

بعد ١٩٤٨ عاش الشعب الفلسطيني مرحلة التجريب ، ولكنه ظل دوما ـ وبالرغم من اختلاف التجارب وتعددها ـ يبحث عن نفسه ، عن كينونته المستقلة ، باعتبارها نقيض الصهيونية المباشر من جهة ، واداة تحريك الواقع السلبي المهيمن من جهة اخرى .

هل وصل الشعب الفلسطيني الى مرحلة اكتشاف الذات مع مطلع العام ١٩٦٥ ـ تاريخ انطلاق الثورة بالضبط ؟

وبمعنى اخر هل بدأت مقاومة الشعب الفلسطيني في التبلور الى اشكال تنظيمية وسياسية وجماهيرية مع هذا التاريخ الذي حدده الاستاذ يوسف اليوسف موعدا لظهور شعر المقاومة ؟

في اعتقادنا ان الاجابة بنعم ، على هذا السؤال تحمل في طياتها الكثير من الخطأ التاريخي ، بكل ما يترتب على هذا الخطأ من نتائج ، وما يتفرع عنه من تفاصيل سوف تشمل كل مناحي حياتنا دون استثناء . ذلك ان هذه الموافقة سوف تعني ، قبل كل شيء ، أن هذه الثورة قد انطلقت من الفراغ ، ولم تكن ، كما يقول الواقع ، محصلة لجهد سياسي وتنظيمي بدأ قبل ذلك بسنوات طويلة وجاءت الرصاصة الاولى عام ١٩٦٥ تتويجا له . فالذين أعلنوا عام ١٩٦٥ بدء الكفاح الفلسطيني المسلح ، كانوا قد انفقوا سنوات عديدة في الدعوة لهذا الكفاح والتبشير به واستقطاب القوى الوطنية الفلسطينية له .

هذه الحقيقة على جانب كبير من الاهمية ، واقرارها سوف يفرض علينا ان نعيد النظر في فهمنا لمفهوم المقاومة ومن ثم لاشكالها .. فاذا كنا نشير اليوم الى نضال الارض المحتلة ضد الاعداء الصهاينة، ونضال فلسطيني المنفى ضد مؤامرة التسوية الامريكية باسم المقاومة ، فان هذا التعبير قد اخذ ، في الخمسينات والستينات ، مضامين مختلفة بحسب المرحلة التاريخية ، وبحسب التحديات التي انبلعت كلها من اجل طمس الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني واذابة هذا الشعب .

هل يبدأ شعر المقاومة اذن مع مطلع عام ١٩٦٥ ؟ هل نسقط من حساباتنا مراحل الصمود البطولي للشعب الفلسطيني في وجه مؤامرات التوطين في سيناء ، والاحلاف الاستعمارية ، وقبل ذلك مؤامرة ضم الضفة الغربية لمملكة الهاشميين ، وغيرها من مواقف البطولة والتحدي ؟

ان اعتبار هذه الاشكال من المقاومة السياسية والجماهيرية خارج مفهوم المقاومة سوف يحتم علينا ان نفعل ما فعله الاستاذ يوسف اليوسف في مقالته ، اي ان نسقط معها كل تعبيراتها الثقافيـــة التـي نعتقد انها تشكل جزءا هاما من تراث شعبنا الثقافي ، خصوصا على صعيد الشعر الذي لعب ، في تلك الفترة ، دورا هاما في هذه المقاومة ، وعبر الشعراء من خلاله كل على قدر موهبته ، عن موقف الاصرار الوطني الفلسطيني على التمسك بارض الوطن وبالشخصية الوطنية المستقلة .

مقالة الاستاذ يوسف اليوسف اغفلت هذه الحقيقة ، بل مرت عليها وقفزت عنها لتصل الى مطلع السبعينات ، باعتباره مرحلة ظهور الشعر المقاوم .

منذ مطلع الخمسينات ازدحمت الساحة الفلسطينية بالشعراء الذين اصطلح على تسميتهم بشعراء النكبة ، وان كنا نرى ان هذا الاصطلاح ـ بما يحمله من معان سلبية ـ لا ينطبق عليهم جميعا . فبينما غرق البعض في بكائيات فجائعية ، انطلق البعض الاخر في الحث على رفض الواقع ، متلمسا اسباب هـذا الواقـع